المشرق

التنويم الصناعي (الهپنوتزم) والادب

نظر للاب لويس دترثال اليسوعي

قد كثر القال والقيل في فصل الصيف الاخير عمَّا اجراه بعض المتجوّلين من اختبارات التنويم الصناعي فكانت الالسنة لا تلهج الّا بغرائب هذا الفنّ من مظاهر سحريّة وعرافة وصرع. وقد اخذنا العجب من بعض الوالدين الذين ما اكتفوا بحضور جلسات هذا التنويم باهلهم بل قادوا بصحبتهم اولادهم رغمًا عمَّا ينتج من معاينة هذه المشاهد الباطلة من الاخطار الجسيمة كما سترى

وذلك ما ساقنا الى ان نسطّر هذه النبذة لندفع الشبهات ونعرّف بايجاز حقيقة التنويم الصناعي ومواطن استعماله والاخطار الناجمة عنهُ

١ تعريف النوم الصناعي

يدعى التنويم الصناعي بالافرنسيَّة هپنوتزم (ὑπνωτισμός) وهو عبارة عن فنّ جلب النوم الغير الطبيعي لشخص معلوم مع ما يجري للمنوَّم من المظاهر المنوطة بحالهِ. والحالة التي يحصل فيها المنوَّم من سبات غرق او رقاد خفيف تُدعى ذهولًا وغيبةً (hypnose, ὕπνωσις). فهذا التعريف كما ترى اذا حُصر في النوم وجلبهِ لا يدلُّ على شيءٍ منافٍ للآداب ولذلك لم تحكم الكنيسة في جواز استعمالهِ كما حكمت حكمًا فصلًا في اعمال اخرى فنهت عنها تحت تبعة الخطأ المبين منها السحر ومناجاة الارواح

سواء كان بواسطة الاشخاص او الطاولات الدائرة او استحضار الموتى. فانَّ الكنيسة قد اصدرت في ذلك اوامر مشدَّدة لتصدّ عنها اولادها (١ والسبب انَّ اعمالاً كهذه لا يمكن نسبتها الَّا للارواح الشريرة لانهُ سبحانهُ وتعالى لا يستطيع ان يجاري البشر في اهوائهم الباطلة وكذلك الارواح القدسيَّة واولياء الله فانهم ارفع مقاماً من ان يتساهلوا في اجراء هذه الخوارق لتفكيه خاطر الانسان دون جدوى . فلا يبقى اذن الَّا أن تُنسب هذه الاعمال السحريَّة الى عدوّ البشر الذي لا غاية لهُ سوى المماذقة والتمويه ليخدع الانسان ويوقعهُ في حبائلهِ ويعدل بهِ عن طريق الصلاح وجدّد الآداب

والتنويم الصناعي الذي نحن بصددهِ قد سبق وظهر منذ اواخر القرن الثامن عشر على صورة اخرى فدُعي بالمغنطيسيَّة الحيوانيَّة وقد اشتهر بنشرهِ واطرائهِ الدكتور النمساوي فرنسوا مسمر الذي توفي سنة ١٨١٥ فسمّي الفنّ باسمهِ مسمريسم (Mesmérisme) فكان ينوّم مرضاهُ بمسيس يديهِ الَّا انَّ الاعمال السحريَّة تسرَّبت شيئاً فشيئاً الى هذه المعالجات بحيث صحَّ نظمُها بين الامور المنهي عنها باوامر الكرسي الرسولي. وفي سنة ١٨٤٠ قام الانكليزي بريد (Braid) فاستبدل طريقة مسمر السابق ذكرها بطرائق اقرب وابسط لجلب النوم وذلك انهُ لا يمسّ المريض لتحريك مغنطيسيَّة جسمهِ الحيوانيَّة وتنويمهِ وانَّما ينوّمهُ في الغالب بان يحدّق اليهِ شاخصاً او يجعل امام عينيهِ شيئاً لامعاً او يبهره بنور بارق فترى المنوَّم بعد قليل يتراخى فيتنهَّد فيطرف بعينيهِ فيغتمض اجفانهُ نائماً. ويكون التنويم اسرع او ابطأ حسب حالة المنوَّم من ضعف اعصاب وشدَّة انفعال ولاسيَّما اذا رضي المنوَّم فانَّ رضاه يقرّب الوسائل لتنويمهِ ويسهّلهُ لذلك وفي الجسم البشري بعض أعضاء اذا هاجها المنوّم جلبت التنويم بسرعة

وكما انَّ في المنوَّم استعداداً يختلف مع الاشخاص كذلك المنوّمون فانَّ قوماً منهم خُصُّوا ببعض السجايا الطبيعيَّة في حركاتهم وصوتهم ولا سيَّما عيونهم بحيث يعملون اعمالاً لا يستطيع القيام بها غيرهم. يخبر عن المنوّم هيدنان انَّ ثلثةً من طلبة الطب سألوه يوماً ان ينوّمهم فاجلسهم حول منضدة جعل فوقها ساعتهُ ثمَّ اوعز اليهم بان يسمعوا دقّاتها فما مرَّ عليهم خمس دقائق حتى تثاقلت اجفانهم وغلب عليهم النوم . وامثال

(١ من ذلك مراسيم المجمع المقدَّس الصادرة في ٢٢ حزيران سنة ١٨٤٠ وفي ٢١ نيسان سنة ١٨٤١ وفي ٢٠ تموز سنة ١٨٥٦

هذا كثيرة لا نرى افادة في تعدادها . وما لا ريب فيه انَّ المنوَّم يكون بازاء المنوِّم اطوع لهُ من بنانهِ فيتصرَّف به كيف يشاء. فاذا امرهُ بعمل او نهاهُ عنهُ او اشار اليهِ بمشي او ضرب او كتابة او شيء آخر فعلهُ فِعلَ المدفوع اليهِ . واذا عيَّن لهُ عملًا يأتيهِ عند يقظتهِ او بعد مدَّةٍ معلومة اتاهُ كما تقدَّم اليه المنوِّم وفي الزمن والمكان اللذين حدَّدهما

٣ استعمال التنويم وجوازه

فما قولنا عن التنويم ادبيًّا ؟ اهو كما زعم البعض عبارة عن اعمال سحريَّة اليدُ الطولى فيها للارواح الشيطانيَّة ومن ثمَّ لا يسوغ استعمالها في اية حالٍ كانت ؟ او هي كما ذهب اليهِ آخرون مظهر طبيعي بسيط وعلاجٌ طبيٌّ لا دخلَ فيه للسحر ؟ هذان طرفا نقيض يجب على العاقل ان يفحص بينهما ولا يبتُّ حكمًا الَّا بعد التثبُّت والتحقيق

ايكون التنويم الصناعي عملًا سحريًّا ؟ لا نتكر انَّ بعض المنوِّمين اتخذوا التنويم كوسيلة لاعمال غريبة منها ما هو شعوذة محضة يزاولها قوم من طالبي الرزق لفتح اكياس الناظرين ومنها ما يتجاوز طور المعارف الطبيعيَّة فيُشتمُّ منهُ رائحة العرافة والكهانة والفأل من ذلك مثلًا أن يُعطى للنائم شيءٌ من متاع احد الغائبين فيصف المنوَّم حالتهُ من صحَّة او مرض غنى او فقر شغل او راحة . وكذلك ان يؤمر المنوَّم بالتكلم بلغةٍ لم يعرفها قطّ او بقراءة كتاب مختوم او يدلَّ على ما يحدث لاحد بعد زمن . فهذه الامور واشباهها اذا لم يدخلها مكر وخداع فمندرجة في الاعمال السحريَّة التي لا يسوغ الاشتراك بها او حضور جلساتها لما يطرَّح بهِ الناظر نفسهُ من الخطر في مناجاة الارواح الشريرة اعاذنا الله من شرِّها. ولعلَّ بعضًا من الذين يتقلون في البلاد ليدعوا الناس الى هذه المناظر الغريبة لا يكتفون بالشعوذة بل يأتون اعمالًا يتدسُّ اليها السحر والعرافة المحرَّم عنهما

ولكن اذا افترضنا انَّ التنويم مجرَّد تمامًا من كل عمل يشتبهُ فيهِ السحر ولا يدخل فيهِ شيءٌ من الزجر او الكهانة او الرقية وانَّ المنوِّم لا يتَّخذه الَّا لتنويم بعض الاشخاص أيمكن تعليل ذلك طبيعيًّا . نجيب انَّ الامر ليس بعيدًا من اعمال الطبيعة لا سيَّما من قوَّة الخيال . ألا ترى انا اذا حاولنا النوم اغمضنا الاجفان وابعدنا عنَّا الافكار الشاغلة

وفكّرنا في النوم والاستماع به الى أن نتفى تماماً. فما يصنعهُ النائم وحده يمكن ان يصنعهُ فيهِ شخص آخر بالاستهواء لانَّ المنوِّم ايضاً يجعل الذي يريد تنويمهُ على كرسي ونير فيذكّره بالنوم ويحوّل فكره عن كل ما يشغلهُ عن الرقاد فتكون ارادتهُ مطاوعة لارادة المنوِّم حتى اذا قال لهُ « نَمْ » نام . وانَّما يوجد مع ذلك فرق بين النوم الطبيعي والصناعي وهو انَّ في التنويم الصناعي يبقى المنوَّم رهين ارادة المنوِّم . بيد انَّ هذه السلطة على النائم يمكن تعليلها بالعلاقة التي صارت بينهما كعلاقة العلّة والمعلول او الفاعل والمفعول بهِ . لكنَّ في ذلك سرًّا لم ينكشف تماماً حتى الان

اما الكنيسة المقدَّسة فانها جرت على مألوف عادتها بالفطنة والتروّي فلم تحكم في ذلك حكماً فاصلاً . ولمَّا سأل البعض المجمع المقدَّس ايجوز استعمال التنويم فكان جوابهُ في ٢٦ تموز سنة ١٨٩٩ : «انَّ اتخاذ الوسائل الطبيعيَّة غير المحرَّمة لبلوغ غاية ادبيَّة ليس بممنوع وعليه اذا لم يدخل في التنويم اعمال سوى الاعمال الطبيعيَّة يجوز الالتجاء الى التنويم في بعض الاحوال بشرط ان ينفي المنوَّم عن نيَّتهِ كل مشاركة سحريَّة» . وهذا الجواب يوافق مرسوم المجمع المقدَّس سابقاً سنة ١٨٤٠ لمَّا سُئل في امر المغنطيسيَّة الحيوانيَّة

والحقُّ يقال انَّ التنويم لا يُبيح اثماً : ١ً اذا كانت الوسائط التي يستعين بها صالحة ٢ً اذا كانت غايتهُ حسنة ٣ً اذا كان في نفسهِ خالياً من الخطإ . وهذه الامور الثلاثة يمكن اثباتها في بعض الاحيان

(اوَّلاً) انَّ التنويم الصناعي كما يجري اليوم انَّما يُنال خصوصاً بصوت المنوِّم وقلَّما يحدث بذلك ما يمسّ الآداب . وهذا على خلاف ما كان يصنع مسمر وذووهُ فانهم كانوا يجلبون النوم بمسيس ايديهم على جسم المنوَّم وبالتفرُّس فيهم فربَّما تعرَّضوا الى خرق الادب

(ثانياً) انَّ التنويم الصناعي يمكن استعمالهُ لغاية حسنة مثلاً لمعالجة مرض او دفع وهم او النجاة من عادة سيئة كالسكر والتهتُّك . ولا احد ينكر انَّ كل هذه الغايات صوابيَّة لا شيْ فيها ينافي الآداب السليمة . وقد نال بعض ارباب الطب بهذه الطريقة علاجات عجيبة . لمَّا اذا اتخذ المنوِّم ذلك وسيلةً لغاية قبيحة كضرر المنوَّم في جسده او نفسهِ او كضرر شخص غائب فلا يجوز البتَّة الالتجاء اليهِ . فترى من ثمَّ انَّ التنويم

من الامور القابلة الخير او الشرّ فان كانت الغاية منهُ حسنة لا بأس بهِ وان كانت سيئةً فلا بُدَّ من نبذهِ . وان سأل السائل وهل من حرَج في حضور جلسات التنويم لتفكيه النفس فنجيبهُ انَّ لهذا فصلًا مفردًا سيأتي شرحهُ

(ثالثًا) التنويم في نفسهِ ليس هو ايضًا شيئًا مذمومًا . ولعلَّك تستغرب ذلك فتقول اليس جُناح في ان ينزع عنك احدٌ عقلك نزعًا باتًّا . أجبنا ان التنويم لا ينزع العقل عن المنوَّم وانما يكفُّ عملهُ فقط حين كما تفعل الطبيعة عينها وقت الرقاد . لانَّ عقل الانسان لا يستطيع العمل دون انقطاع ولا راحة . وكما انَّ الذي ينام نومًا طبيعيًّا لا يأتي جنايةً الَّا اذا قضت عليهِ واجباتهُ عدم النوم كذلك المنوَّم نومًا صناعيًّا لا يخطئ اذا فعل الامر لغاية صوابيَّة وتقيَّد عمل عقلهِ مدَّة هذه العمليَّة . ومثل النوم الصناعي كمثل التبنيج بالاثير او الكلوروفورم فانَّ المبنَّج يفقد ايضًا الحسَّ مدَّة تبنيجهِ . والتبنيج يجوز في بعض الاحيان كما لا يخفى . لا بل انَّ المنوَّم يمكن ايقاظهُ بكل سرعة بتحريك المناطق المعروفة في الجسم بالمناطق المقيِّدة للنوم (zones hypnofrénatrices) واما ايقاظ المبنَّج فابطأ من ذلك — وان قيل انَّ في التنويم ضررًا للارادة التي تضحي رهينة ارادة المنوِّم . اجبنا انَّ في ذلك ضررًا جسيمًا ان كان المنوِّم مشمولًا لا ذمَّة لهُ ولا دين اما اذا كان رجلًا مستقيمًا ذا حكمة وفطنة فليس الخطر عظيمًا وفي التبنيج الامر اجسم واخطر

فالتنويم اذًا من ذات نفسهِ ليس بخطإ كما انَّهُ يمكن تطبيق غايتهِ ووسائطهِ مع الصلاح نظريًّا . على انَّ استعمالهُ لا يخلو من الخطر كما مرَّ ولذلك يشترط على من يقصده بعض الشروط وهي :

١ً ان يكون التنويم على يد طبيب خبير بصناعتهِ لئلَّا يقع المريض في ايدي المشعوذين . ولذلك قد وُضعت في بعض البلاد احكام صارمة حسمًا لاعمال المخرقين ففي بلجكة مثلًا وضعت الحكومة عقابًا رادعًا لمن ينوِّم المجانين او الشبَّان الذين لم يدركوا العشرين من سنهم ما لم يكن المنوِّم طبيبًا او رُخص لهُ بالامر

٢ً ينبغي ان يُعرَف المنوِّم لئلَّا يتَّخذ التنويم لغاية سيئة

٣ً يُستحسن دفعًا لكل ضرر طبيعي او ادبيّ ان يجري العلاج لمام اشخاص امناء موثوق باستقامتهم يمكنهم استدراك الخطر اذا وقع

٤ وكذلك تطلب الكنيسة ان ينفي المتعاطون للتنويم كل عمل سحري ويكفوا عنهُ اذا ما رأوا مفاعيل غريبة لا يمكن نسبتها الى القوى الطبيعية

٥ واخيرًا لا بُدَّ من رضى المريض لانهُ لا يجوز ان تفقده عقلهُ وارادتهُ دون مشيتهِ وتعرضهُ لاخطار عظيمة. هذه هي الشروط التي تُشترَط في استعمال التنويم اذا ما كان اقرب وسيلة لعلاج مرضٍ ما

٣ اخطار التنويم واضراره

لعلَّ القارئ بعد ما تقدَّم يظنّ انهُ اذا أُخذ الوسائل اللازمة لصيانة نفسهِ من الخطإ لا تثريب عليهِ بملازمة التنويم لكنَّ هذا وهمٌ ينبغي تفنيده بما يأتي:

اوَّلًا انَّ في التنويم اخطارًا للصحَّة قربَّ امراض كامنة او موروثة بالدم ظهرت وقت التنويم الصناعي فمن ذلك أعراض الصَّرَع التي يُلي بها بعض المنوَّمين فسقطوا يزبدون ولزمهم المرض بقيَّة حياتهم. ومن ذلك ايضًا ظهور الهستريا في النساء والتعرُّض للعاهات المزمنة كفقر الدم بل للقالج نفسهِ. وكلُّ هذه المظاهر قد ثبتت بالتجربة

ثانيًا وان كانت هذه الاضرار عظيمةً لمن اتخذ الوسائل الضامنة لسلامتهِ فما قولك بمن يتهوَّر في استعمال التنويم دون تروٍ او يملك نفسهُ مشعوذًا. فانَّ الاخطار لا تُحصى اذ ذاك لجسده وماله ونفسهِ. فمن اضرار الجسد انهُ يُصبح عرضةً للامراض السابق ذكرها بل كثيرًا ما أُصيب المنوَّم بشعوره او يُلي بعسرٍ في عقلهِ او بقي مفلوجًا. ولو اردنا نقل كل ما يرويهِ نُطس الاطبَّاء من ذلك في المجلَّات الطبيَّة لطال بنا الكلام

ثم انَّ طالب التنويم يعرّض مالهُ لعدَّة اخطار فانَّ بعض المحتالين لمَّا رأوا حالة المنوَّم وسياتهُ وانهُ طوع ارادتهم حملوه الى ان يُمضي اوراقًا لدفع مالهِ لمن لا يريد او استهوره الى بغض صديق وحبّ غريب الى غير ذلك من الاعمال التي تلحق بهِ اضرارًا دون علمهِ ورضاهُ. وهذا هو السبب الذي دفع بعض الدول الى ان يمنعوا التنويم العلنيّ امام القوم

وليست اضرار النفس بادنى شأنًا بما ينشأ في قواها من الضعف والفشل والامراض المتحرفة والعادات السيئة المخلَّة بالآداب. فانَّ الجرائد والنشرات العلميَّة روت من ذلك ما تقشعرُّ لهُ الابدان. وقد جرى لبعض الوالدين انهم سمحوا لاولادهم او بناتهم بان

ينوّمهم المنوّم فما فاقوا من سكرتهم حتى وشجت بين المنوّم والمنوَّم علاقات غير منفصمة الحقت العار بالعيال لا سيّما انَّ المنوّم اذا نوَّم شخصاً مرَّةً اولى اسره واستملكهُ حتى انهُ يستطيع ان ينوّمهُ ثانية بطرفة عين بل ربَّما نام هذا بمجرَّد نظره الى الذي جلب لهُ النوم ويستطيع المنوّم ان يدفع المنوَّم لاعظم المنكرات واقظع الشرور فيرتكبها مدفوعاً اليها . فناشدتك الله أيليق بأبٍ او امّ ان يطوّحا بفلذة كبدهما في مثل هذه الاخطار

وليس الخطر المذكور على من يعرّض نفسهُ فقط للتنويم ولكن ايضاً على كل من يحضر بمجالسهُ لمجرَّد المعاينة والفرجة لانَّ هذه الجلسات العموميَّة لا يُراد بها الفائدة بل تهييج الرغبة في نظر للامور الغريبة ويكون المنوَّم في الغالب فتاةً او امرأة فناهيك بهذا المشهد مثيرًا للاهواء وهيّجاً للشهوات خصوصاً في الفتيات والاحداث الذين يتساهل اهلهم بان يأتوا بهم الى هذه المنوادي الخطرة

ومن الاخطار الحريَّة بالذكر انَّ الحضور في هذه الجلسات العلنيَّة يجعلون انفسهم هدفاً للاعتقادات الباطلة والخرافات بل يعرضونها على خطر المشاركة بالسحر ومناجاة الارواح . ومن ثمَّ ينبغي لهم الاعتزال عنها على الاقلّ اذا عاينوا شيئاً من ذلك او خافوا وقوعهُ

وزد على ما سبق خطر الشكوك الذي يستبيهُ بعض الحاضرين اذا كانوا من ذوي النفوذ لا سيّما الاكليريكيين فان حضر مثل هؤلاء جلسات التنويم أفلا يكون مثلهم باعثاً لغيرهم لحضورها ومن ثمَّ يصيرون عثرةً لقريبهم

ولعلَّ الخطر الاعظم في هذه الجلسات هو خطر فقد الايمان . فانَّ بعض الجهَّال اذا رأوا شيئاً من غرائب التنويم وخصوصاً التنويم غير الطبيعي الذي تجري فيهِ مظاهر يصعب نسبتها الى قوى الطبيعة شكُّوا في عجائب السيد المسيح والمعجزات الصحيحة وخلطوا بين هذه وتلك وزعموا انَّ غرائب التنويم كالخوارق المذكورة في الكتب المنزلة وشتَّان بين خمر وخلّ

وليس قصدي هنا أن ابيّن الفرق بين المعجزات الصحيحة واعمال المنوّمين . وانَّما الفرق بينهما ظاهر لكلّ ذي عينين . فهاك مثلاً معجزات السيد المسيح فانها تبعد عن غرائب التنويم بُعد السماء عن الارض فان كان المنوّم قد شفى بعض الادواء فما

ذلك الا بعد علاج طويل والمسيح كان يشفي المرضى والبرص فجأةً بكلمة من فيهِ او بمجرَّد فعل ارادتهِ . المنوّم لا يستطيع سوى علاج امراض قليلة وربَّما خنق فيها مسعاه او جلب ضررًا اعظم او شفى منها فقط لزمن قليل والمسيح شفى كل العاهات على اختلافها من اقامة موتى وردّ البصر للعميان والنطق للصمّ والسمع للطرش . فليت شعري متى سمع انَّ منوّمًا فتح عيون اعمى اكمه او ردّ الحياة لميت او شفى مريضًا مزمنًا بمجرَّد ارادتهِ كما فعل المسيح مع الابرص اذ قال لهُ : « أُريد فاطهُرْ » . فترى من هذا حمق الذين زعموا انَّ المسيح فعل ما فعل بطريقة الاستهواء كما يفعل المنوّمون فحاشا للسيّد المسيح لذكره السجود ان يكون التجأ الى هذه الخزعبلات ونستميح من قرَّائنا عذرًا اذ نروي لهم ترَّهات بعض الاغبياء الذين لم يأنفوا ان ينزّلوا الربّ الاله منزلة المحترفين بالشعوذة

وخلاصة القول ان كان التنويم في بعض الاحيان يُعدّ من الوسائط العلاجيَّة فانَّ في مزاولتهِ اخطارًا جسيمة للنفس والجسد فلا يجوز لاحد من النصارى استعمالهُ للعلاج الّا عند الضرورة مع اتخاذ الوسائل لدفع كل اذًى يلحق بدينهِ او بنفسهِ او جسدهِ واياه أن يحضر نوادي المنوّمين والحذر كل الحذر من ان يقود اليها اولاده

الياذة هوميروس

نبذة في تعريبها الحديث (تتمّة)

لحضرة الاب خليل اده اليسوعي

٢ التعريب (تابع)

بعد المشاهد الرقيقة التي نقلنا وصفها عن النشيد السادس يجدر بنا ذكر شيْ من النشيد الحادي عشر حيث تسمع اصوات القتال وصلصلة الرماح وهدير العجلات الحربيَّة الى ما شاكل ممَّا ينبئك انَّ القتال ملتحم . وهذا النشيد من اجمل الناشيد الالياذة وقد نظمهُ المعرّب رجزًا حسنًا . الّا انَّا نأخذ على حضرتهِ جُملةُ الادوات كفي و مِنْ وقَدْ قافية في بعض الاشطر شأن كثيرين من الرجزة لانَّ الحرف لا يجوز الوقف